بلاغة التناسب في سورة (الملك)

الأستاذ الدكتور

السيد محمد سلام

أستاذ البلاغة والنقد وعميد الكلية

1438هـ - 2017م

ض

ض

مقدمة

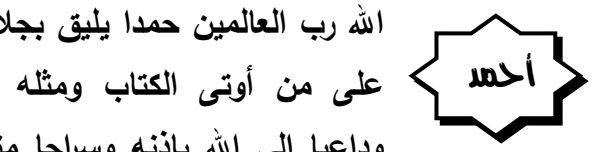

الله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وكماله، وأصلي وأسلم على من أوتى الكتاب ومثله معه، فكان بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين ..... وبعد:

فكلام الله –سبحانه– هو أعلى طبقات الكلام، وفيه من الأسرار والدقائق ما تعجز عنه قوى البشر، ومن ثم كان معجزا للخلق قاطبة، وذكر الإمام عبد القاهر شيئا مما أعجزهم فقال : أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه،وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها...بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع ....

ومن ثم كان كلام الله هو (النمط العالي والباب الأعظم، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه..)([1]) وعلم المناسبات وجه من وجوه إعجازه ؛ لأنه هو الاتساق الذي بهر وقهر، وفيه اللطائف البلاغية التي أُثر عن الفخر الرازي فيها قوله : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، فكما أنه معجز بفصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسب ترتيبه، ونظم آياته ..كما قال السيوطي : وفي ترتيبه سر بلاغته ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ...

(1) ينظر دلائل الإعجاز 39، 95 تحقيق الشيخ شاكر.

ولذلك كان علم المناسبات في غاية النفاسة..([1]) وهذا التناسب يكون في ترتيب السور، والآيات، والكلمات التي بنيت عليها الآيات، ونسق الفواصل ووقعها، وموقفها من آياتها، وكذلك بين أغراض السورة، ومقاطع المعاني فيها ومن ثم عرفه علماء اللغة بالاتصال، والتجانس، والتشاكل، ولذا تتجلى البلاغة هنا في بيان أسرار هذا الترتيب، وهو ما قامت عليه هذه الدراسة الموجزة في سورة الملك، لما لها من مكانة تجلى شيء منها في بيان فضلها، وهكذا يجب أن تدرس سور القرآن كله.

وعلى الله قصد السبيل

أ د : السيد محمد سلام

(1) ينظر تفسير الفخر الرازي 110/10، ومعترك الأقران للسيوطي 56/1، ونظم الدرر للبقاعي 55/1.

تمهـــــيد

التعريف بالسورة

لسورة الملك عدة مسميات كل منها له دلالة بمضمونها ومقصودها الأعظم، كما سيأتي، وسأوجز القول هنا في: بيان أسمائها، وتاريخ نزولها، ومقصودها الأعظم، والموضوعات التي اشتملت عليها والخلاف في عدد آيها .

من خلال تتبع كلام العلماء يتجلى أن لهذه تسعة أسماء بعضها مشتق من بعض وهي:

تبارك، تبارك الذي بيده الملك، تبارك الملك، المانعة، الواقية، المنجية المنّاعة، المجادلة، الملك. وقد علل بعض العلماء لبعض هذه المسميات، من ذلك قول الألوسي : أخرج الطبراني عن ابن مسعود، قال : كنا نسميها على عهد رسول الله ﷺ: المانعة، وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﷺخباءه علي قبر، وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتي ختمها، فأتي النبيﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ : هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر ...

وعلل تسميتها (المنجية والمجادلة) بقوله : أخرج الطبراني، والحاكم.... عن ابن عباس، أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلي، قال اقرأ : (تبارك الذي بيده الملك) وعلمها أهلك، وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك . فإنها المنجية، والمجادلة يوم القيامة عند ربها لقارئها

وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر .. وفي جمال القرآن : تسمي أيضا : الواقية، المناعة.[1]بصيغة المبالغة.

وذكر الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل: أنها تدعي في التوراة : المانعة، لأنها تقي، وتنجي من عذاب القبر، وعن ابن شهاب: أنه كان يسميها المجادلة، لأنها تجادل عن صاحبها في القبر[2]وزاد الشيخ ابن عاشور قال سماها النبيﷺ"سورة تبارك الذي بيده الملك" في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺأن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتي غفر له، وهي "سورة تبارك الذي بيده الملك " قال الترمذي هذا حديث حسن، فهذه تسمية للسورة بأول جملة وقعت فيها، فتكون تسمية بجملة، كما سُمي ثابت بن جابر (تأبط شراً) ولفظ سورة مضاف إلي تلك الجملة المحكية وسميت أيضا (تبارك الملك) بمجموع الكلمتين في عهد النبي ﷺوالشائع في كتب السنة، وكتب التفسير وفي أكثر المصاحف : تسمية هذة السورة : سورة الملك وكذلك ترجمها الترمذي : باب ما جاء فى فضل سورة الملك، وكذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه [3] .

وأشهر هذه الأسماء وأوجزها (الملك) ؛ لما فيه من جماع ذلك كله، ولدلالته على القوة الجامعة والمطلقة لكمال القدرة، وكمال العظمة

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي جـ29/2 دار الفكر- وينظر المعجم الكبير للطبراني 481/8، والجامع الصحيح لسنن الترمذي 164/5.

(2) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية جـ 373/4

(3) تفسير التحرير والتنوير جـ29 /6،5 دار بحوث للنشر والتوزيع بتونس، و الحديث في الترمذي 164/5.

المتناسبة مع مفتاح السورة الدال على تلك العظمة، وطلاقة التصرف في ملكه وملكوته . وشئون خلقه ...

تاريخ نزولها، ومكانه : قيل : نزلت سورة الملك بعد سورة (الطور) وقد نزلت سورة (الطور) بعد سورة (الإسراء) وقبيل الهجرة فيكون نزول سورة الملك في ذلك التاريخ أيضا [1] وهي مكية بالاتفاق، قال القرطبي : سورة الملك مكية في قول الجميع. [2]

ويدل على ذلك أيضا ما روي عن ابن عباسﷺ أن سورة تبارك الملك نزلت بمكه .[3]

وفي عمدة القارئ : وهي مكية كلها، قاله مقاتل، وقال السخاوي : نزلت قبل الحاقة، وبعد الطور، وهي ألف وثلاثمائة حرف وثلاثمائة وثلاثون كلمة وثلاثون آية [4]

أما البقاعي فقال : وهي مكية، وقيل مدنية، وآيها إحدى وثلاثون آية في المدني الأخير، والمكي، وثلاثون فقط فيما عداهما .

---

(1) النظم الفني في القرآن تأليف عبد المتعال الصعيدي ص322 طبع بمكتبة الآداب بمصر.

(2) تفسير القرطبي 205/18 تحقيق احمد البردوني – دار الكتب المصرية طـ 2 1964 وينظر معالم التنزيل للبغوي 173/8 تحقيق محمد عبد الله النمر طـ4 1997م وغيره من التفاسير التى نصت علي ذلك كتفسير مقاتل، وبحر العلوم، والكشاف، والتفسير الكبير للرازى .

(3)ينظر الدر المنثور 230/8، وفتح القرير 5/ 256 والناسخ والمنسوخ للنحاس 125/3

(4)عهدة القارئ شرح صحيح البخاري 28 /414

واختلافها في آية : (قد جاءنا نذير) رقم(9) عدها المدني الأخير والمكي، ولم يعدها غيرهما، وعدها شيبة، ولم يعدها أبو جعفر[1].

ولكن هذه الآية جاءت في آية واحدة متصلة بسياق يجلي موقفهم الحقيقي حين جاءهم النذير، ولم تأت في المصاحف آية مستقلة مما يؤكد العدد السابق (ثلاثون آية) والمتفق عليه كما ورد في الأحاديث المذكورة ونحوها .

فضل السورة : روى عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال " إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له " وهى سورة تبارك الذي بيده الملك " وهذا حديث حسن. [2]

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة عن رسول اللهﷺ "إن سورة في القرآن ثلاثون آية تستغفر لصاحبها حتى يُغفر له (تبارك الذي بيده الملك) قال أبو حاتم ﷺ تستغفر لصاحبها،أراد به ثواب قراءتها، فأطلق الاسم على ما تولد منه، وهو الثواب، كما يطلق اسم السورة نفسها عليه[3]

مقصودها : أما عن مقصود السورة : فيتجلى من أول كلمة فيها (تبارك) الدالة على التعاظم الذي لا يكون إلا لله سبحانه، وما فيه من الدلائل الثلاثة التي انبلجت بعده مباشرة، واستهلت كلها باسم الموصول " الذي " (الذي بيده الملك – الذي خلق الموت والحياة – الذي خلق سبع

---

(1)مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 3/ 102 تحقيق د عبد السميع حسنين – مكتبة المعارف بالرياض طـ 1 1408 هـ

(2) الجامع الصحيح لسنن الترمذي (فضل سورة الملك) 5/ 164 .

(3)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق شعيب الأرنؤط 67/3 .

سماوات) وفيه أسرار جمة، أبرزها الدلالة على معرفة السامع بذلك، كما قال الشيخ عبد القاهر:" تفسير هذا :أنك لا تصل " الذي " إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له"([1]) وما جاء بعد ذلك كله من دلائل إنما هو تفصيل لهذا الإجمال، لذلك قال البقاعي: مقصودها : الخضوع لله ؛لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه (تمام القدرة الدال عليه قطعا إحكام) المكونات، الدال عليه تمام العلم . الدال عليه مع إحكام المصنوعات علم ما في الصدور، لينتج عن ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك، لتكتمل الحكمة وتتم النعمة. [(2)]

وقد بدأ الكلام بعد هذه المفاتيح الثلاثة بتفصيل ثالثها (الذي خلق سبع سماوات طباقا) لكونه حسيا، وما قبله معنويان، فحدثنا عما فيها من إحكام الصنع، ثم الزينة للمؤمنين، ثم جعلها رجوما للشياطين، ثم بيان مصير الكافرين الذين اتبعوا الهوى ...ثم تتوالي دلائل القدرة والعظمة حتى تربط آخر السورة بأولها " قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين " فقد تواءمت طلاقة القدرة فى البداية مع نفس الحال في النهاية، وهو مانسميه رد الأعجاز على الصدرو، وهذا يدل على ترابط أولها مع آخرها وقوة العلاقة بين مطلعها، ومقصودها وخاتمتها.

---

1 - دلائل الإعجاز 200 تحقيق الشيخ شاكر .

(2) . مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور 3/ 103 ، وما بين القوسين ساقط من نسخة د كما نبه المحقق .

موضوعات السورة:

وهذه الأمور التي درجها البقاعي هي الموضوعات الرئيسة التي احتوتها السورة الكريمة .

وهي كشأن السور المكية تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى كما ذكر محقق كتاب مصاعد النظر حيث ذكر أنها تناولت ثلاثة أهداف رئيسة هي :

– إثبات عظمة الله، وقدرته على الإحياء والإماتة، وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين . ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور [1] . فمن أول السورة إلي الآية الخامسة أدلة علي الوحدانية، ومن بداية الآية السادسة " وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير " إلي قوله تعالي " فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير"الآية الحادية عشرة حديث عن المجرمين يتبعه الترغيب ببيان مكانة(الذين يخشون ربهم بالغيب) وبعض دلائل القدرة حتى الآية الخامسة عشرة، ومنها إلي قوله تعالي " فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون " الآية السابعة والعشرون، سياقات تحذير وتذكير، تحذير من عقابه مشفوع بتذكير بنعمه ؛ لتقوى الرغبة في الرجوع إلي رب العالمين باقتناع وقوة برهان .

ثم يأتي ختام السورة في الثلاث آيات الأخيرة يحمل لمحات التدبر والإنذار، وإيقاظ الفكر وتحريك الشعور وذلك باستفهامين تتوسطهما عمومية الرحمة المرغبة في التوكل علي الله وحده، فكل الأمور بيده .

---

(1) حاشية مصاعد النظر 3 /104

وتلك هي أغراض السورة التي تجلي مقصودها الأعظم، وتثبت الدلائل الدالة عليه.

أما بلاغة التناسب في السورة فتتجلى في خمسة موضوعات كما يأتي :

الأول: **التناسب بينها وبين سورتي**: (**التحريم**)و(**القلم**):

سورة الملك نتيجة لسورة التحريم، وتهيئ لسورة القلم، فلو تأملنا في مقدمة سورة الملك في قوله تعالى:(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) لوجدناها تحلل الاختبار الذي وقع في بدايات سورة التحريم، كما أن نسيج السورة من قوله تعالى(الذين يخشون ربهم بالغيب..) نتيجة للنداءات السابقة في سورة التحريم :(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ..– يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ..– يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله..– يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين..) ثم يأتي الإعجاز المجمل في خاتمة السورة " ومريم ابنة عمران.." ليتلاحم مع العظمة الإلهية في أول سورة "الملك"، وعلى ذلك فختام سورة التحريم مترابط مع بداية سورة الملك، ونسيج سورة الملك تفصيل ونتائج لوقائع سورة التحريم، وهكذا هيأت سورة التحريم لسورة الملك، وكانت الثانية ثمرة لأشياء في الأولى، ولذلك قال البقاعي : فعلم مناسبات القرآن : علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلي تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفه مقصود السورة المطلوب ذلك فيها [1] أما ترتيب السور فقد اختلف العلماء فيه، فمن قائل : إنه توقيفي ومن قائل إنه اجتهاد من

(1) نظم الدرر 5/1

الصحابة بدليل اختلاف مصاحفهم كمصحف ابن مسعود، ومصحف أُبيَ وبعضهم يرى أن بعضه توقيفي، وبعضه اجتهادي، والأرجح هو الأول كترتيب الآيات (1)

وكل سورة لها منزلة بين السور، ولها دلالة محددة، وإن كانت متصلة بما قبلها، وبما بعدها، ولكن لتسميتها وجه، ومناسبة.

ومن ثم كانت كل سورة متصلة بما قبلها وبما بعدها وإن اختلف مكان النزول.

وقد وقعت سورة الملك باعتبار ترتيب المصحف بين سورتين، مدنية تسبقها وهي سورة التحريم، ومكية تأتي بعدها، وهي سورة القلم، ويكف الاستدلال على ما ذكرته من علاقات بين السور الثلاث بما لخصه الإمام جعفر بن الزبير في قوله: ورود ما افتتحت به السورة من التنزيه وصفات التعالي إنما يكون عقيب تفصيل التقلب الإنساني من لدن خلقه من سلالة من طين إلي إنشائه خلقاً آخر وكذا كل ما ورد من هذا ما لم يرد أثناء آي قد جردت للتنزيه والإعلام بصفات التعالي والجلال .

ولما كان قد أوقع في آخر سورة التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر وأعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين قد بغتهما الله تعالي رحمة لعباده واجتهدا في دعاء الخلق فحرم الاستنارة بنورهما، والعياذ بهداهما من لم يكن أحد من جنسهما أقرب إليهما منه ولا أكثر مشاهدة لما مدا به من الآيات وعظيم المعجزات ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، ثم أعقبت هذه العظة بما جعل في

(1) ينظر أسرار ترتيب القرآن للسيوطي صـ7 دراسة وتحقيق عبد القادر عطا ومرزوق إبراهيم – دار الفضيلة

طرف منها، ونقيض من حالها، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يغرها مرتكب صاحبها، وعظيم جرأته، مع شدة الوصلة واستمرار الألفة لما سبق لها في العلم القديم من السعادة وعظيم الرحمة فقالت ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ [سورة التحريم : 11].

وحصل في هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك به أولى الناس في ظاهر الأمر، وتقديم سبب امتحان عصم منه أقرب الناس إلى التورط فيه، ثم أعقب ذلك بقصة عريت عن مثل هذين السببين، وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين، وهو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شيء قدير ﴾ سورة الملك1، وإذا كان الملك سبحانه وتعالى بيده الملك فهو يؤتي الملك والفضل من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويزل من يشاء كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران، فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها، ثم بنيت سورة الملك على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين حسبما يبسطه التفسير [1].

وقيل : لما ذكر آخر التحريم امرأتي نوح ولوط الكافرتين، وامرأة فرعون المؤمنة افتتحت هذه السورة بقوله " الذي خلق الموت والحياة " مراداً بهما الكفر والإيمان في أحد الأقوال؛ للإشارة إلي أن الجميع بخلقه وقدرته، ولهذا كفرت امرأة نوح، ولوط،ولم ينفعهما اتصالهما بهذين النبيين الكريمين، وآمنت امرأة فرعون، ولم يضرها اتصالها بهذا الجبار العنيد ...

(1) البرهان في ترتيب سور القرآن للغرناطي دراسة وتحقيق أ محمد شعبان صـ 341 – وينظر ملاك التأويل 2/ 1091.

ووجه آخر وهو أن أول (تبارك) متصل بقوله في آخر الطلاق ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ [الطلاق : 12]، فزاد ذلك بسطا في هذة الآية " الذي خلق سبع سماوات طباقاً " إلي قوله " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " وإنما فصلت بسورة التحريم لأنها كالتتمة لسورة الطلاق [1].

ونخلص من كل هذا إلى: أن أول سورة الملك تجلية لقضاء الله وقدره، وإحاطة ملكه، وتصرفه في شؤون خلقه، وختام سورة التحريم بموقف مريم (عليها السلام) أقرب لهذا الافتتاح لأنه أمر خارق للعادة (فنفخنا فيه من روحنا) وهذا يستدعي أن يترتب عليه التعظيم ليتناسب مع الأمر الجلل الذي ختمت به السورة .

أما عن علاقتها بسورة القلم فنلحظ أن القسم على مكانة النبي "صلى الله عليه وسلم" إنما جاء تسلية له، وإثباتا لمقامه بعد قوله تعالى في سورة الملك " قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم" ثم تتوالى هذه التسلية " فلا تطع المكذبين "، " ولا تطع كل حلاف مهين" ومعلوم أنه لا يطيع أحدا من هؤلاء، وليس مؤهلا لذلك .. ولكنه بسط الكلام في سياق التسلية لبيان المكانة المدلول عليها بقوله تعالى" وإنك لعلى خلق عظيم" ثم يأتي دليل التهديد بتغوير الماء في آخر سورة الملك تهيئة لتفصيل هذا الأمر في سورة القلم مع قصة أصحاب الجنة، وهذا ما يقول فيه السيوطي: لما ذكر سبحانه في آخر سورة (تبارك) التهديد بتغوير الماء، استظهر عليه في هذه السورة بإذهاب ثمر

(1) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي صـ 145، وينظر نظم الدرر 8/ 62 .. والكشاف 67/4.

أصحاب البستان في ليلة بطائف طاف عليه، وهو نائمون، فأصبحوا لم يجدوا له أثراً، حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة، فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلي الذهاب، ولهذا قال " وهم نائمون فأصبحت كالصريم " وقال هناك " إن أصبح ماؤكم غوراً " إشارة إلي أنه يسري عليه في ليلة، كما أسري على الثمرة في ليلة [1] يعني أنه ختم بقريب مما بدأ وهو الوعيد والتهديد ولكن بصورة مختلفة .

غير أني أري أن ختام سورة الملك ليس وعيداً، أو تهديداً فقط، بل هو تذكير بالقدرة علي الإنعام الذي من أجله تبطروا، وكفروا وتغيروا، وبداية سورة القلم تمهيد بمواساة النبيﷺ- ثم الوعيد الذي يتجلي في قوله سبحانه " فستبصر ويبصرون " يقدم به لقصة أصحاب الجنة كالنسيج الذي يجري في السورة الثانية امتدادا لمضمون السورة الأولي، وهذا وجه التناسب بينهما ولهذا قال البقاعي في سورة (القلم) :

مقصودها: إظهار ما استتر، وبيان ما أبهم في آية " فستعلمون من هو في ضلال مبين " بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته حيازته العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يضل بمصاحبته بتقبل القرآن، والتخلق بالفرقان الذي وصفه الرحمن بقدر الإمكان الذي تتصل إليه قوة الإنسان[2] ...

فالتطبيق العملي لوقائع التهديد والتحذير والوعيد في سورة الملك انبلج بصورة منفصلة في سورة القلم وهما من سور المفصل .

(1)أسرار ترتيب القرآن صـ 146

(2)نظم الدرر 89/8

والتناسب الذي وقفت عنده هنا يتجلي فيه استكمال المعاني، وتلاحمها بين سور القرآن، فكما أن كل مقطع من مقاطع السورة يتناسق مع الذي يليه، ويمهد له، ويكون الثاني كنتيجة للأول، أو استكمال له في المعني، فكذلك السورة مع التي قبلها وكذا حال التي بعدها معها .

الثاني: التناسب بين أسماء السورة ومقصودها وموضوعاتها.

أولا : الفرق بين المقصد والموضوع :

مقصود السورة الأعظم هو الأمر المهيمن علي السورة كلها ؛ لأنه يجمع معانيها ويشمل أغراضها، ويربط بدايتها، ونهايتها، وهذا قول البقاعي " إن كل سورة لها مقصد واحد يُدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلي دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جراً . فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه بدأ، ثم انعطف الكلام وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومرقي غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الحالية، المزينة بأنواع الزينة، المنظومة بعد أنيق الروق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلي تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغر البديعة النظم العجيبة الضم بلين تعاطف أفنائها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها ...فمن حقق المقصود الأعظم في كل سورة عرف تناسب آياتها، وقصصها، وجميع أجزائها [1]

(1)مصاعد النظر للإشراف علي مقاصد السور 1/ 149

ومن ثم يتجلي أن المقصد هو: الموضوع الكلي الجامع لمعاني السورة، وموضوعاتها التي تكونت منها.

وأن الموضوعات هي: تلك المقاطع، أو الأجزاء التي تألفت منها السورة كما سبق في بيان الدلائل الدالة علي مقصودها الأعظم الذي هو(الخضوع لله عز وجل)، وأن كل دليل يسلم للذي يليه ويمهد له، فيتصل بسابقه، ويهيئ للاحقه حتى صارت السورة كدائرة واحدة انعطف أولها على آخرها وبذلك تتآزر هذه الموضوعات التي تكونت منها السورة في إبراز هذا المقصود الأعظم المهيمن عليها والجامع لدواخلها وأطرافها .

علاقة ذلك بأسماء السورة :

هذه العلاقة جمعها البقاعي في عبارة واحدة فقال : واسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأن كل شيء تلحظ المناسبة بينة وبين مسماه، وعنوانه الدال بالإجمال علي تفصيل ما فيه [1] وبعض السور لها أكثر من اسم، كما رأينا في سورة الملك مناط حديثنا، وهذه الأسماء منها ما هو توقيفي، ومنها ما هو اصطلاحي، كما قال الطبري " لكل سورة من القرآن اسم سماها به الرسولﷺ وبعض السور لها أكثر من اسم، منها ما هو توقيفي ومنها ما هو اصطلاحي "[2].

ولا ريب أن التوقيفي أدل علي المقصود، وأسماء السورة كما سبق له دلائل من كلام النبيﷺ، أو بعض المواقف التي عقب عليها، أما اسمها (الملك) فلم يرد عليه شيء من هذا مما يجعل أغلب الظن أنه توقيفي، وأن هذه التسمية جامعة لأحوال الملك التي بنيت عليها السورة من :

(1) السابق 209/1

(2)تفسير الطبري 84/1

إثبات العظمة، والقدسية في أولها إلى الدلائل الدالة على ذلك، إلي بيان عواقب من كذبوا ثم الختام المتناسق مع البداية من أنه لا يملك أحد من الأمر شيء، وأن الملك كله لله، ودلت على ذلك كلمة "تبارك" والتعالي والتعاظم لا يكون إلا لمن هذا شأنه، ومن ثم قال البقاعي : واسمها (الملك) واضح في ذلك ؛ لأن الملك محل الخضوع من كل من يري الملك، وكذا تبارك ؛ لأن من كان كذلك كان له تمام الثبات والبقاء، وكان له من كل شيء كمال الخضوع والارتقاء وكذا اسمها : المانعة، والواقية، والمنجية ؛ لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة، ومن لزمها نجا مما يخاف، ومنع من كل هول ووقي كل محذور "[1]هذا عن علاقة أسمائها بمقصودها الأعظم، وبقية الأسماء تدل عليها الأحاديث السابقة في فضل السورة، ومسمياتها .

أما عن علاقات هذه المسميات بموضوعات السورة التي تواصلت، وترابطت في بيان هذا المقصود الأعظم، فبالتأمل في مكونات السورة نجد أن هذه المسميات تتواءم مع العظمة المطلقة الدال عليها استهلال السورة، وفيه لفظ الملك الذي يجمع كل أمر، ولا يخفي عليه شيء، والتحصن به يقي ويمنع وينجي ويجادل عن صاحبه، كما أن القدرة علي الإحياء والإماتة .. تتجلي في القدرة على كل ما سميت به السورة، لذلك استدل البقاعي في بداية حديثة عنها بقول الولي الملوي: هذه السورة كان النبي ﷺ يحبها لكثرة علومها، وقال :" وددت لو كانت في صدر كل مسلم "[2]وذلك لأنها كما قال بعض العلماء : تعالج إنشاء تصور جديد

---

(1) نظم الدرر 62/8

(2) السابق 62/8 وذكر المحقق أن الحديث أخرجه الحاكم 1/ 565 والطبراني في الكبير 11616 من حديث ابن عباس وصححه الحاكم

للوجود، وعلاقته بخالق الوجود، تصور واسع شامل يتجاوز عالم الأرض الضيق، وحيز الدنيا المحدود، إلي عالم السماوات، وإلي حياة في الآخرة، وإلى خلائق أخرى غير الإنسان في عالم الأرض كالجن والطير، وفي العالم الآخر كجهنم وخزنتها، وإلي عوالم في الغيب غير عالم الظاهر تعلق بها قلوب الناس، ومشاعرهم، فلا تستغرق في الحياة الحاضرة الظاهرة، في هذه الأرض، كما أنها تثير في حسهم التأمل فيما بين أيديهم، وفي واقع حياتهم وذواتهم، مما يمرون به غافلين "[1]، وسبق أن السورة تعالج في عمومها موضوع العقيدة، وينبلج تحت ثلاثة أهداف : إثبات عظمة الله وقدرته، إقامة الأدلة والبراهين على وحدانيته، بيان عاقبة المكذبين ومصائرهم .

واسمها "الملك" الذي هو رأس هذه الأسماء يحمل كل هذه المعاني، ويدخل معه اسمها (تبارك الملك، وتبارك الذي بيده الملك)، أما أسماؤها: المانعة، والواقية، والمنجية، والمجادلة، فكل ذلك جلي في أنها تدفع عمن يقر بعظمة الله، وما يترتب عليها من : قدرة، ووحدانية، ومصائر لا يملكها غيره ..وكل ذلك يستدعي الإقرار بعظمته، والخضوع لربوبيته.

الثالث: التناسب بين فاتحة السورة ومقصودها :

ورد لفظ (تبارك) في القرآن الكريم تسع مرات(2) ولكن لم يرد في فاتحة السور إلا في(الفرقان والملك)، والمقصود الأعظم فيهما متقارب،

---

(1) المفصل في موضوعات سور القرآن جمع وإعداد على بن نايف الشحود 1290/1

(2) في الأعراف 54 "تبارك الله رب العالمين" والمؤمنون14" فتبارك الله أحسن الخالقين" ووالفرقان1"تبارك الذي نزل الفرقان" وو10"تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا " و61"تبارك الذي جعل في السماء بروجا"

فكما سبق في سورة الملك : إظهار الذلة والخضوع لمن بيده الملك والملكوت، وهو تعظيم للحق سبحانه، فكذلك في سورة الفرقان ذكر البقاعي أن مقصودها : إظهار شرف الداعي ﷺ بإنذار المكلفين عامة بماله سبحانه من القدرة الشاملة، المستلزم للعلم التام، المدلول عليه بهذا القرآن المبين، المستلزم لأنه لا موجود على الحقيقة سوى من أنزله، فهو الحق، وما سواه باطل (1) وفي طليعة هذا المقصود يتجلى تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك يكون اجتمع فيهما تعظيم الله ورسوله.

فالمقصود الأعظم من السورتين المتفقتين في الاستهلال متقارب حيث التفرد بالملك، والقدرة، وكذا الإنذار والتحذير والأدلة الدامغة الدالة علي التفرد ... ففي الفرقان " الذي له ملك السماوات والأرض " وفي الملك " الذي بيده الملك... " وكل من سياق السورتين – لو تأملنا– يحتاج إلي هذا الاستهلال البديع النادر، الدال علي تنزيه الحق سبحانه عن كل افتراء صدر من المشركين، بالإضافة إلي ما فيه من مبالغة في الخير والعطاء، وهو مقام الثناء على الله بما هو أهله لأن لفظ (تبارك) بما فيه من معاني : التقديس، والتنزه، والتعالي، والتعاظم، خصوصية ينفرد بها ذو الجلال والإكرام، وسئل أبو العباس عن تفسير (تبارك الله) فقال: ارتفع، والمتبارك : المرتفع، وقال الزجاج : تبارك : تفاعل من البركة،

وغافر64"فتبارك الله رب العالمين " والزخرف 85"وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض" والرحمن 78"تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام" وأول الملك.

(1) مصاعد النظر 317/2.

وقال ابن عباس : تبارك : تعالي وتعاظم ... وقال الليث في التفسير : تبارك الله تمجيد وتعظيم، وتبارك بالشيء : تفاعل به، (1) .

وذكر الرازي فيه معنيان، أحدهما : تزايدَ خيرُه وتكاثر، وهوا المراد من قوله تعالي: " ليس كمثله شيء "، وأما تعاليه عن كل شيء في ذاته فيحتمل أن يكون المعني : جل بوجوب وجوده، وقدمه عن جواز الفناء، والتغير عليه، وأن يكون المعنى جلَ بفردانيته، ووحدانيته عن مشابهة شيء من الممكنات .

وأما تعاليه عن كل شيء في صفاته، فيحتمل أن يكون المعني : جل أن يكون علمه ضروريا، أو نسبيا، أو تصوراً،أو تصديقا وأما في أفعاله، فجلَ أن يكون الوجود والبقاء، وصلاح حال الوجود، إلا من قبله .

وقال آخرون : أصل الكلمة: تدل على البقاء ... والمعني : أنه سبحانه وتعالى باقٍ في ذاته أزلاً، وأبداً، ممتنع التغير، وباقٍ في صفاته ممتنع التبدل، ولما كان سبحانه وتعالي هو الخالق لوجوه المنافع والمصالح، والمبقي لها، وجب وصفه سبحانه بأنه تبارك وتعالي [2]

من خلال هذا ونحوه من أقوال العلماء يتجلي أن هذا الاستهلال " تبارك الذي بيده الملك " إجمال فصلته السورة، وكل آية منها تنطق بهذه العظمة في الذات والصفات، والأفعال، ومراحل إثبات القدرة، والعلم، وبيان النعم، والقدرة على حجبها.. وغير ذلك مجمل في مفتاح السورة، وتفصيلها يتلخص فيه .

---

(1) ينظر لسان العرب (برك)

(2)تفسير الرازي 44/24 .. بشيء من الاختصار

الرابع: التناسب بين آيات السورة وفواصلها:

الفاصلة هي آخر الآي، ومعرفة الآيات توقيفية، والغرض منها، ومن الوقوف عندها، إفهام المعني، وتحسين الكلام ؛ لأنها تُحدث إيقاعا جميلا، بواسطة الحروف المتماثلة التي تؤدي إلي جرس رتيب، ونسق صوتي متوازن[1]

وهذا النسق الصوتي المتوازن ورد في سوره الملك علي نمط واحد تختم فيه فاصلة الآية بحرف الراء في إحدى وعشرين آية على التوالي، ليس بينها حرف آخر وبعدها تغير مرتين فقط؛ حيث جاء آخر الفاصلة حرف الميم مرتين يتخللهما حرف النون سبع مرات فتلك ثلاثون آية عدد آيات السورة الكريمة، ولكن هذه الفواصل تختلف من حيث العلاقة بين فاصلة الآية وصدرها ، بحيث تأتي الفاصلة مستقرة في قرارها، متعلقة بمعنى الآية كلها، فلا يتم المعنى المراد إلا بها، وعلى ذلك ففي السورة فواصل تقوي المعنى، وتمكنه في بابه، وفواصل تعطي معنى التذييل، والتوشيح، والتلاؤم، وغير ذلك مما يجعل لكل فاصلة دلالة تتناسب مع الآية، وبيان ذلك كما يأتي :

أولاً : الفواصل التي جاءت تمكينا للمعني :

والتمكين معناه : أن تسبق الفاصلة بتمهيد يجعلها متمكنة في بابها، مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاما، بحيث لو طرحت لاختل المعني، واضطراب الفهم [2].

---

(1)ينظر دراسات حول الإعجاز البياني للقرآن ص 189 د المحمدي الحناوي ط دار الطباعة المحمدية 1404ه

(2) ينظر البرهان للزركشي 108/1، وبغية الإيضاح 4/ ومن بلاغة القرآن د أحمد بدوي صـ 75 ط 3 – الفجالة مكتبة نهضة مصر

والفواصل التي تجلى فيها هذا المعني في السورة كما يأتي :

1. الآية الأولي " تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شيء قدير " .

فالفاصلة قوله تعالي " وهو علي كل شيء قدير " تكميل وتمكين للمعني المراد، وهو شمول القدرة، واتساع السلطان وبسطه علي كل شيء، بما في كلمة (شيء) من الإبهام الذي لا حدود له .

2. وعلي تلك الشاكلة من مجيء الفاصلة توكيداً للمعني وتمكيناً له قوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين " تأتي الفاصلة في قوله تعالي " وأعتدنا لهم عذاب السعير " لتؤكد استمرار العذاب، وأن النعم التي تحولت نقما كانت مجرد تمهيد لذلك ؛ لأن الأصل في المصابيح أنها زينة، وعلامات يهتدي بها فتحولت لهم آلات رجم تذكرة، وتنبيها بأن عذاب الآخرة أشد وأنكى، فكانت الفاصلة متمكنة في بابها ومؤكدة للمعني المراد بيانه .

3. ويأتي معنى التمكين أيضا في الآية الثامنة عشرة " ولقد كذب الذين من قبلهم " فاصلتها " فكيف كان نكير" يقول البقاعي " أي إنكاري عليهم بما أصابتهم به من العذاب في تمكن كونه، وهول أمره فقد جمع إلى التسلية غاية التهديد"[1]

فالنكير هنا عذاب لهم يؤكد عقوبة تكذيبهم من باب قوله تعالى " ويمكرون ويمكر الله " فما قبل الفاصلة مهد لها وجاءت هي تحقيقا له وتوكيداً .

(1) نظم الدرر 79/8

4. وكذلك الآية الرابعة والعشرون " قل هو الذي ذرأكم في الأرض " فاصلتها " وإليه تحشرون " فالقصر في الحشر، يؤكد القصر في الإيجاد، فكما أنه لا يوجدهم غيره، فكذلك لا يحشرون إلاّ إليه .

5. والآية التاسعة والعشرون

قوله تعالي " قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا " فاصلتها قوله تعالي " فستعلمون من هو في ضلال مبين " تحقق عاقبة من ضل فتوكل علي غيره.

تلك فاصلة التمكين، التي حققت ما تم به التمهيد للمعنى المراد إقراره .

ثانياً : أما فاصلة التوشيح، أو الفاصلة الموشحة فكثيرة في السورة . والتوشيح تسمية قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري وهو الذي سماه الخطيب: الإرصاد أو التسهيم، بمعني أن يجعل قبل العجز ما يدل عليه[1].

حيث جاءت فيما يقرب من نصف عدد آيات السورة وهي :

1- الآية الثالثة التي جاءت دليلاً ثانيا من دلائل القدرة والوحدانية، وهي قوله تعالي " الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما تري في خلق الرحمن من تفاوت " فاصلتها " هل تري من فطور " ؛ فنفي التفاوت – حتما – يشير إلي هذه الفاصلة ويهيئ لها ؛ لأن الاستفهام هنا بمعنى النفي أي لا ترى فطوراً .

2- الآية الرابعة " ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً " فاصلتها " وهو حسير " قال الألوسي : أي كليل من طول المعاودة، وكثرة

(1) ينظر بغية الإيضاح 17/4 وتفصيل المصطلح ومسمياته في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د أحمد مطلوب صـ 57..

المراجعة [1] والذي مهد لذلك، وأشار إليه ودل عليه قبل قراءته هو سياق الآية من قبل .

3- وكذا الآية السادسة " وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم " فاصلتها: "وبئس المصير " فقوله سبحانه " وللذين ...." بيان للقرار الذي لا مخرج منه لأنها خبر مقدم لقوله " عذاب جهنم " . وجعله ابن عاشور من باب التتميم ؛ لئلا يتوهم أن العذاب أعد للشياطين خاصة ... والمراد عامة المشركين، ولأجل ما في الجملة من زيادة الفائدة غايرت الجملة التي قبلها فلذلك عطفت عليها [2].

وعلي أي حال فالسياق دل على هذه الفاصلة التي أفادت معني يؤكد مراده ؛ لأن المقصود : وبئس المصير جهنم، فقد سبق في الكلام ما يشير إليها، وهذا هو معني التوشيح كما سبق .

4- وكذا الآية السابعة " إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً " وفاصلتها " وهي تفور " فقوله (سمعوا) يدل علي المسموع (شهيقا) والمسموع يدل علي الفوران (وهي تفور) وكذا الشأن في قوله تعالى"إن الذين يخشون ربهم بالغيب" تدل على بيان الجزاء الذي ختمت به" لهم مغفرة وأجر كبير"، وكذا الآية بعدها " وأسروا قولكم أو اجهروا به " تدل على إحكام علمه في الفاصلة" إنه عليم بذات الصدور" وكذا سياق السورة كله كل فاصلة تتشح بالمعنى الذي يدل عليه سابقها، وترى ذلك بارزا في الآيات : 14،15،19،22،24..

(1) روح المعاني 8/29

(2) ينظر التحرير والتنوير 23/29

ثالثاً : الفواصل التي جاءت تذييلا :

والتذييل : تعقيب الجملة بجملة تشمل علي معناها للتأكيد .

1- وأول شواهده هنا الآية الثانية، قوله تعالي " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " فاصلتها " وهو العزيز الغفور " والعزيز هو الغالب تشتمل علي معني الابتلاء أي الجزاء علي عدم الطاعة والانقياد لأمر الله، والغفور تشمل معنى الجزاء علي الطاعة، بمعني أنه يعامل بالفضل، وفي ذكر (الغفور) ترغيب بعد ترهيب ؛ لأن العزيز هو الغالب الذي لا يغلبه شيء، فهنا مصدر قوة تحتاج إلى تخفيف فجاءت صفة (الغفور) لتؤدي هذه المهمة، وتلك بلاغة الفواصل حين تؤكد معني مضى بطريق آخر، ومن ثم جاءت الآية عقبها دالة علي الإبداع الذي يناسب كمال العزة وجلال المغفرة فقال " الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت " وهذا يدل علي قمة التناسب بين الآيات بعضها وبعض، وأن فواصل الآيات منسجمة مع رؤوس الآيات، وهكذا يكون التكامل البديعي في بيان رب العزة.

2- وكذا الآية الثانية عشرة " إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة " فاصلتها (وأجر كبير) فقوله سبحانه " لهم مغفرة " جزاء خشيتهم، أما قوله تعالي : " وأجر كبير " فهي تشمل المغفرة .

3- وكذا الآية بعدها (الثالثة عشرة) " وأسروا قولكم أو اجهروا به " فاصلتها " إنه عليم بذات الصدور " ففيها معني التهديد الذي هو لب الآية قبلها، حيث يتجلي فيه الاستواء بين السر والجهر، وهذا هو معني علمه بذات الصدور .

4- وكذا الآية الخامسة عشرة " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه " فاصلتها " وإليه النشور " . يقول الألوسي : وجملة " وإلية النشور " قيل عطف علي الصلة، بعد ملاحظة ما ترتب عليها، وقيل: حال مقدرة من ضمير المخاطبين المدفوع فتدبر[1].

وذكر ابن عاشور أنها تتميم، ومعلوم أن التتميم هو أن يؤتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد نكتة ثم قال بعدها : وتعريف " النشور " تعريف الجنس، فيعم أي كل نشور، ومنه نشور المخاطبين، فكان قوله " وإليه النشور " بمنزلة التذييل [2].

وذاك ما لحظته من البداية وأوردته هاهنا ؛ لأنها تشتمل علي معني الأمرين السابقين، بمعني أن يكون عملكم كله لله، فهو أي السعي وما ترتب عليه، منه وإليه .

5- أما الآية التاسعة عشرة " أولم يروا إلي الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن " ففاصلتها " إنه بكل شيء بصير " لأنها تشتمل على معنى القدرة على الإبداع الذي تجلى في بيان الآية قبلها .

رابعاً : الفاصلة المشتملة على معنى التناسب:

ويسمي مراعاة النظير، والائتلاف، والتوفيق، وعرفه الخطيب بقوله : أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد [3].

ويتجلي هنا في قوله تعالي " ألا يعلم من خلق " وفاصلتها قوله تعالي " وهو اللطيف الخبير " وهي مناسبة للتنبيه السابق الذي يحمل معنى

---

(1) روح المعاني 18/29

(2) التحرير والتنوير 32/29

(3) بغية الإيضاح 13/4

الاستفهام الإنكاري أي كيف تنكرون علمه بخلقه ؟ وهو اللطيف، أي الذي يعلم ما لا يُدرك من دقائق الأمور وخفيها، والخبير مؤكدة لها ؛ لأن معناها : العلم ببواطن الأمور[1].

فالتناسب يسري مع حركة المعنى في السياق كله، والفاصلة هنا جلية في تحقيق المعني .

وكذلك نري التناسب يتناغم مع هذا التقسيم المتقابل بين حالتين في قوله تعالى " أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدي أمن يمشي سوياً " فاصلتها " علي صراط مستقيم " الآية 22 . وهي متعلقة بالفعل (يمشي) والذي يناسب " سويا " هي تلك الفاصلة ؛ لأن " علي صراط مستقيم " أعلي درجات الاستواء، والتناسب والتناغم يجري في سياق الآية كلها ؛ لأنها توبخ علي الحالة الأولي، وتحبب في الحالة الثانية .

وقال الألوسي عقب الآية " مثل ضرب للمشرك والموحد ؛ توضيحاً لحاليهما في الدنيا، وتحقيقا لشأن مذهبيهما[2]

وعليه أيضا يكون التناسب في السياق كله مرة، وبين (سوياً) و (علي صراط مستقيم) التي جاءت فاصلة، مرة ثانية .

خامساً : الفواصل المصدرة :

أي التي جاءت تصديراً، بمعني أن تكون اللفظة سبقت في سياق الآية، وهو نوع من أنواع رد الأعجاز علي الصدور .

ويتجلي ذلك في ختام السورة في قوله تعالي " قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين " الفاصلة هنا قوله تعالي " فمن يأتيكم بماء

---

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن (لطف وخبر)

(2) روح المعاني 23/29

معين " وقد أوجز البقاعي القول فيها بعد أن فسر" غوراً " بمعني نازلاً في الأرض، بحيث لا يكون لكم فيه حيلة، وتجلي ضعفكم، وافتقاركم وانخلاع قلوبكم، واضطراب أفكاركم حينئذ " فمن يأتيكم بماء معين " جار دائما لا ينقطع ... إلا رب العالمين . فإنه هو القادر علي ذلك " فقد رجع ذلك الآخر – كما تري – علي ذلك الأول، وعانقه على أحسن وجه وأكمل [1] ". تلك هي براعة الفاصلة، وعملها في تحقيق المعني وتوكيده وتمكينه وانبثاقها من معناه، الذي يحقق روابط الكلام ويبرز لطائفه.

الخامس :**التناسب بين مقاطع السورة**:

سبق الحديث عن أسماء السورة، وسر هذه التسميات وأن اسمها المشهور (الملك) يطابق محتواها الذي يشهد بهذا الملك ويدلل عليه، وهناك تجلت العلاقة بين اسم السورة ومضمونها، وأن اسم السورة – كما قال البقاعي – ترجمة لمقصودها الأعظم، ومقصودها الأعظم يتجلي من موضوعاتها وأن البداية فيها تتطابق مع النهاية التي ختمت بها وكأنها دائرة يلتقي أولها بآخرها في تحقيق المراد، وإذا كانت البداية تتآزر مع النهاية، فكيف بالمضمون، الذي أقيمت عليه، ونسجت خيوطه من مفتاحها، فجاء فيها الترغيب والتحذير وكل منها يتآزر مع الآخر في إثبات الواقع الذي يعالج موضوع العقيدة، كما هو شأن السور المكية، وأن العمد الثلاثة التي أقيمت عليها وهي من خلال ما سبق بيانه تتلخص فيما يأتي :

1. إثبات العظمة والهيمنة والقدرة على كل شيء وفي طليعتها الإحياء والإماتة .

(1) ينظر نظم الدرر 88/8

2. ثم إقامة الأدلة علي القدرة والعلم و الوحدانية .
3. ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين المنكرين لقدرة الله وخاصة موضوع البعث والنشور الذي يبين لهم خلالها أنه ليس إلاّ إليه .

وهذه العمد الثلاثة متناسبة مع مفتاح السورة، ومحققة لمقصودها الأعظم، ومترابطة فيما بينها بعرى وثيقة فإثبات العظمة التي هي الغرض الأول أو الموضوع الأول من موضوعات السورة جاءت إجمالاً في مقطعين من مقاطع المعني الأول : (الذي بيده الملك) والثاني (وهو على كل شيء قدير) .

ثم جاءت دلائل العظمة بعد ذلك تفصيلا، مشفوعة بدلائل القدرة والعلم المؤكدة لها والمزيلة عنها أدنى ريب، وهذا هو الموضوع الثاني الذي عم أرجاء السورة، حيث استهل بأعظم دليل وهو (خلق الموت والحياة) ثم إحكام القدرة (الذي خلق سبع سماوات ...) والتحدي بأن يكون فيها أدني تفاوت، جاء ذلك بتكرار اسم الموصول (الذي) الدال على وصف المعارف بالجمل – كما سبق– ثم جاء دليل النعم الأول بأسلوب التحقيق، مستهلا بواو الاستئناف الدالة على أن هذه دلائل أخرى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ..." وهذه اللام الداخلة على (قد) جواب لقسم محذوف، وجاء الحديث عن السماء الدنيا فقط مراعاة لقدرة البشر، ثم جاء التناسب بين الزينة وضدها ﴿ وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ وهذا يتناسب مع العظمة التي تجعل من الخير شراً لمن يستحقه .

ثم يتحدث السياق متوعداً الكفار، وما أعد لهم، وعارضاً حالتهم وإقرارهم ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾ ثم يتبع ذلك ترغيب في المغفرة والأجر الكبير لمن يئوب إلى الله ويخشاه ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ وتلك من رحمة الله، ثم يرد على

نكرانهم أن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ثم يذكرهم بنعمة كبرى يعيشونها مبينا أن مصيرهم إليه حتى يعتدل ميزان سعيهم ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ ثم يستنكر عليهم أمنهم مكر الله .

وهنا تبدأ مرحلة التهديد وتتكرر بطريق الاستفهام الإنكاري التوبيخي التحذيري ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء﴾ .....بالانتقال من استفهام إلي آخر مثله مع اختلاف العذاب ، ثم يعطيهم الدليل علي حقيقة ذلك ببيان شأن الأمم السابقة، ثم يعود إلي دلائل التفرد، والقدرة، والعلم، ومنها إلي إبطال دعوى أن هناك من يدفع العذاب دحضا لغرورهم وكبتاً لعنادهم ...وهكذا يتوالى السياق بين تهديد وتخويف تارة، وإبراز قدرة، وبيان نعمة تارة أخرى... حتى تختم السورة ببيان عاقبة المكذبين، وبيان قدرة رب العالمين، مما يجعل السورة كالقطعة الواحدة متصلا أولها بآخرها ...

ض

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر والمراجع الأخرى :-

1. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي
2. أسباب النزول للسيوطي
3. أسباب النزول للواحدي
4. أسرار ترتيب القرآن للسوطي
5. إعجاز القرآن للباقلاني
6. إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش
7. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي
8. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني
9. البحر المحيط لأبي حيان
10. البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير لغرناطي
11. البرهان في علوم القرآن للزركشي
12. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور
13. تفسير أبي سعود المسمي إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم
14. تفسير البغوي المسمي معالم التنزيل
15. تفسير الطبري
16. التفسير الكبير لفخر الدين الرازي
17. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن السعدي
18. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن محمد زغلول سلام
19. حاشية الجمل علي الجلالين

20.الخصائص لابن جني
21.الدر المصون للسمين الحلبي
22.دراسات حول الإعجاز البياني للقرآن للدكتور المحمدي الحناوي رحمه الله
23.دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني
24.روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي
25.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري
26.لسان العرب لآن منظور
27.مصاعد النظر للإشراف علي مقاصد السور للبقاعي
28.معجم المصطلحات البلاغية د أحمد مطلوب
29.معجم مقاييس اللغة لابن فارس
30.المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني
31.المفصل في موضوعات سور القرآن جمع وإعداد علي بن نايف الشحود
32.من بلاغة القرآن أحمد بدوي
33.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي
34.النظم الفني في القرآن – عبد المتعال الصعيدي